الفصل الرابع

صور التحويل بالحذف

وفيه سنتناول الحذف الذي يمس عنصراً أو أكثر من عناصر التراكيب الإسنادية، كما نعرض لصور من التحويل بالحذف الذي يمس وحدة إسنادية كاملة.

١- التحويل الذي يعتري عنصراً أو أكثر من عناصر الجملة أو الوحدة الإسنادية:

الصورة الأولى:

وفيها يكون المسند" الفعل" محذوفاً في البنية السطحية للجملة الفعلية المركبة المحتواة فيها هذه الوحدة الإسنادية الاسمية المؤدية وظيفة الفاعل.

ونقف عليها في قوله تعالى: (ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم)(الأحزاب/٥). حيث نلاحظ أن الوحدة الإسنادية الاسمية المركبة " أنهم صبروا" المكونة من "أن" واسمها الضمير "هم"، وخبرها الوارد وحدة إسنادية ماضوية بسيطة "صبروا" المركبة من الفعل الماضي " صبروا"، والفاعل المتمثل في واو الجماعة.

وهذه الوحدة الإسنادية الاسمية المركبة يسجل أنها جاءت لتؤدي وظيفة الفاعل للفعل "ثبت" الذي لا يظهر في البنية السطحية. وأساس ذلك أن جمهور النحاة منهم الكوفيون والمبرد والزجاج والزمخشري(١) ذهبوا إلى أن الوحدة الإسنادية الاسمية بعد" لو" هي في موضع رفع على الفاعلية بفعل مضمر تقديره ثبت(٢).

وبناء على ذلك فإن البنية العميقة للجملة الفعلية المركبة في هذه الآية هي: "لو ثبت أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم"(٣). والبنية العميقة لهذه الوحدة الإسنادية الاسمية المركبة " أنهم صبروا" هي " صبرهم" لأن المصدر المسبوك من أن ومعموليها (اسمها وخبرها) حين تأويله يؤول الخبر بالمفرد مضافاً إليه اسم " أن".

ولما كانت هذه الوحدة الإسنادية القائمة مقام الفاعل مؤكدة بأنَّ، فإننا نستأنس إلى أن تكون بنيتها العميقة هي "تأكيد صبرهم". وبذلك تكون البنية العميقة للجملة الفعلية المركبة لهذه الآية هي "ولو ثبت تأكيد صبرهم حتى تخرج(٤) إليهم لكان خيراً لهم". حتى لا يكون ثمة ابتعاد كبير بين معنى الوحدة الإسنادية السطحية وبنيتها العميقة في هذا التحليل الوصفي المعياري.

واللافت للانتباه أن "سيبويه" ومن شيعته الأندلسيون يقدرون مثل هذه الوحدة الإسنادية المكونة من " أن" ومعموليها الواردين بعد " لو" بمصدر مرفوع على الابتداء، والخبر فيها محذوف تقديره موجود. ويسجل أن سيبويه على الرغم من أنه يرى أن مثل تلك الوحدة الإسنادية السالفة الذكر مؤدية وظيفة المبتدأ،(٥) إلا أنه يستغنى عن الخبر فلا يقدر عنده. . يؤيد ذلك قوله: "تقول لو أنه ذاهب لكان خيراً له كأنك قلت: لو ذاك ثم جعلت"أنَّ" وما بعدها في موضعه. فهذا تمثيل وإن كانوا لا يبنون(٦) على غير "أن"(. . .) ولكنهم لا يستعملون الاسم لأنهم مما يستغنون بالشيء عن الشيء حتى يكون المستغنى عنه مسقطاً"(٧).

ونحن في بحثنا هذا سنأخذ بالرأي الأول ونطمئن إليه لبعده عن التكلف، ولأن فيه إبقاء " لو" على حالها لاختصاصها بالفعل"، لأن لو الشرطية لا تدخل إلا على الفعل في الرأي المشهور(٨)".

الصورة الثانية:

وفيها يكون الفعل المسند إلى هذه الوحدة الإسنادية المنسوخة محذوفاً. ونقف على عينة لها في قوله تعالى: (وأما الذين كفروا(٩) أفلم تكن آياتي تتلى عليكم) (الجاثية/٣١). فالوحدة الإسنادية الاسمية المنسوخة المركبة المنفية" أفلم تكن آياتي تتلى عليكم"(١٠) يلاحظ أنها مؤدية وظيفة نائب فاعل للفعل المضارع المحذوف، الذي يسجل أن بنيته العميقة " يقال لهم(١١). والبنية العميقة للجملة الاسمية المركبة في هذه الآية هي: (وأما الكافرون فيقال لهم أفلم تكن آياتي متلاة عليكم). فالاستفهام في هذه الوحدة الإسنادية غرضه التوبيخ(١٢).

الصورة الثالثة:

وفيها تكون الوحدة الإسنادية الاسمية المؤدية وظيفة الحال محولة بحذف اسم الناسخ فيها ونقف على عينة لها في قوله تعالى: (فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه)(يونس/١٢). ذلك أن الوحدة الإسنادية الاسمية المركبة المنسوخة "كأن لم يدعنا" المؤلفة من الناسخ الحرفي "كأن"(١٣) المفيد التشبيه، واسمه ضمير الشأن المحذوف "هـ"، وخبرها "لم يدعنا" الوارد وحدة إسنادية مضارعية منفية بسيطة. بنيتها العميقة "كأنه لم يدعنا هي في محل نصب حال". بينت الهيئة التي مر عليها صاحب الحال الفاعل المضمر (هو) من الفعل الماضي "مر". وبنيتها العميقة "كأنه غير داعينا".

الصورة الرابعة:

وفيها تكون مثل هذه الوحدة الإسنادية معتمدة على "أن" المخففة. ونقف على مثال لها في قوله تعالى: (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم)(الحشر/٢٨). فالوحدة الإسنادية الاسمية المركبة " أن قد أبلغوا رسالات ربهم" محولة بالحذف، مؤلفة من "أن" المخففة، واسمها ضمير الشأن المحذوف "هم"، وخبرها "قد أبلغوا رسالات ربهم" الوارد وحدة إسنادية ماضوية. وبنيتها العميقة "أنهم قد أبلغوا رسالات ربهم". هي في محل نصب مفعولا الفعل القلبي"يعلم". وبنيتها العميقة "تأكيد إبلاغهم رسالات ربهم"

الصورة الخامسة:

وفيها يكون خبر "أن" المخففة وحدة إسنادية اسمية الناسخ الفعلي فيها مقترن بحرف التنفيس "السين". ونقف على مثال لها في الآية الكريمة: (علم أن سيكون منكم مرضى)(المزمل/٢٠) حيث إن الوحدة الإسنادية الاسمية المركبة "أن سيكون منكم مرضى" محولة بالحذف، مؤلفة من "أن" المخففة، واسمها ضمير الشأن المحذوف " هـ "، وخبرها "سيكون منكم مرضى" الوارد وحدة إسنادية اسمية بسيطة منسوخة. وبنيتها العميقة "أنه سيكون منكم مرضى" وقد أدت وظيفة مفعولي فعل اليقين "علم". وبنيتها العميقة تأكيد كون وجود مرضى منكم.

الصورة السادسة:

وفيها نجد أن مثل هذه الوحدة الإسنادية المحولة منفية ومؤدية وظيفة المفعولين " في نحو قوله تعالى: (لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء)(الحديد/٢٩). فالوحدة الإسنادية الاسمية المركبة "ألا يقدرون على شيء" محولة بالحذف يسجل أنها تتركب من "أن" المخففة، واسمها المحذوف "هم"، وخبرها "لا يقدرون على شيء" الوارد وحدة إسنادية مضارعية منفية، وبنيتها العميقة "أنهم لا يقدرون على شيء" وهي مؤدية وظيفة مفعولي الفعل المضارع القلبي" يعلم". والبنية العميقة لهذه الوحدة الإسنادية الاسمية المركبة "ألا يقدرون على شيء "هي" تأكيد عدم قدرتهم على شيء". وقد تكون مثل هذه الوحدة الإسنادية منفية بحرف الجزم "لم".

ونقف على نموذج لها في قوله تعالى: (أيحسب أن لم يره أحد)(البلد/٧). ذلك أن الوحدة الإسنادية الاسمية المركبة "أن لم يره أحد" التي بنيتها العميقة" أنه لم يره أحد " هي في محل نصب مفعولا الفعل القلبي "يحسب".

وبنيتها العميقة " تأكيد عدم رؤية أحد له". وتفيد أن الحسبان إنما هو واقع في الماضي لدلالة القرينة اللفظية " لم " عليه.

وحين نتأمل قوله تعالى: (أيحسب أن لن نجمع عظامه)(القيامة /٣). نلاحظ أن الوحدة الإسنادية الاسمية المركبة "أن لن نجمع عظامه" محولة بحذف اسم "أن". وهي مؤلفة من "أن" المخففة، واسمها المحذوف "هـ"، وخبرها "لن نجمع عظامه " الوارد وحدة إسنادية مضارعية منفية. وبنيتها العميقة "أنه لن نجمع عظامه " وهي في موضع مفعولي الفعل المضارع القلبي "يحسب". وبنيتها العميقة "تأكيد عدم جمع عظامه". وتفيد أن هذا الحسبان منوط بالمستقبل لأن حرف النفي "لن" يدل على ذلك.

الصورة السابعة:

وفيها يسجل حذف حرف الجر الزائد "رب" ففي قول جميل بثينة:

رسم دار وقفت في طلله كدت أقضي الحياة من جلله

حذفت "رب" إذ إن البنية العميقة هي "رب رسم دار" واللافت للانتباه أن "رب" تحذف إذا سبقت ببعض الأحرف كالفاء والواو و"بل "(١٤). قال الشاعر:

فحور قد لهوت بهن عين نواعم في المروط وفي الرياط

والبنية العميقة للتركيب هي " فرب حور "وقال " امرؤ القيس ":

وليل كموج البحر أرخى سد وله علي بأنواع الهموم ليبتلي

والبنية العميقة للتركيب هي " ورب ليل ". وقال " رؤبة بن العجاج ":

بل بلد ملء الفجاج قتمه لا يشترى كنانة وجهرمه

والبنية العميقة للتركيب هي " بل رب بلد"

الصورة الثامنة:

وفيها نقف على وحدة إسنادية مؤدية وظيفة المبتدأ محولة بحذف الحرف السابك ونجدها في الآية الكريمة: (و من آياته يريكم البرق)(الروم/٢٣). وهي "يريكم البرق" المؤلفة من الفعل المضارع" يري" المتعدي إلى مفعولين هما " الضمير المتصل "(كم) و(البرق)، التي يسجل أنها جاءت مجردة من الحرف المصدري. وبنيتها العميقة هي " إراءتكم البرق".

وقد جاء خبر هذه الوحدة الإسنادية المضارعية جاراً ومجروراً " من آياته" متقدماً عليها دفعاً للبس بالتنبيه على أن المتقدم (الجار والمجرور) خبر. فعلى الرغم من أن رتبة المبتدإ التقدم، فإن الخليل وسيبويه قد ذكرا أن هذه الرتبة غير محفوظة. فيتقدم الخبر ويتأخر المبتدأ(١٥).

ورأى " الفراء " في هذه الوحدة الإسنادية " يريكم البرق " أن من أظهر "أن" التي رأى بعضهم أنها محذوفة قياساً على المثل " تسمع بالمعيدي خير من أن تراه " يقول ابن هشام " تسمع على إضمار أن. والمعنى أن تسمع، والذي حسن حذف أن الأولى ثبوت أن الثانية"(١٦). والبنية العميقة لهذا المثل هي "سماعك به خير من رِؤيتك له" (١٧) وإن الوحدة الإسنادية المذكورة هي في موضع اسم مرفوع(١٨) أي مبتدأ. ورأى أنه في حال إضمار هذا الحرف المصدري " أن" فإن التركيب الإسنادي لهذه الآية إن هو إلا جملة فعلية حيث قال: "وإن شئت(١٩): يريكم من آياته البرق فلا تضمر أن ولا غيره" (٢٠) لكن المتتبع لسياق هذه الآية التي وردت فيها هذه الوحدة الإسنادية ضمن

الجملة الاسمية يلاحظ أن كل الآيات الواردة قبلها أو بعدها. جملها المبدوءة بها اسمية.

قال تعالى: (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون، ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون، ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين، ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون، ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون، ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون)(الروم ٢٠ـ٢٥). حيث إن الآية: (ومن آياته أن خلقكم) والآية: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً). جاء المبتدأ فيهما وحدة إسنادية ماضوية. والآية: (ومن آياته خلق السماوات والأرض)، والآية: (ومن آياته منامكم بالليل والنهار) قد جاء المبتدأ فيهما مصدراً صريحاً "خلق، منامكم"، والآية الأخيرة: (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض) قد ورد المبتدأ فيها وحدة إسنادية مضارعية "أن تقوم(٢١) السماء والأرض" (٢٢).

وهذه الآيات يلاحظ أن جملها الاسمية كلها معطوفة على بعضها البعض مما يجعلنا نستأنس لاسمية التركيب الإسنادي لهذه الآية الكريمة المؤدية فيها الوحدة الإسنادية الفعلية" يريكم البرق " المحولة بحذف الحرف السابك " أن" وظيفة المبتدأ، لأن البنية العميقة للوحدة الإسنادية المشتملة على الحرف السابك ظاهراً أو مقدراً هي مصدر، بينما التي تفتقر إلى هذا الحرف فبنيتها مشتق.

وقد يكون التحويل بحذف أداة التعريف (أي الجملة التي يكون المبتدأ فيها نكرة). في مبتدأ الأمر نلفت النظر إلى أن الجملة أو الوحدة الإسنادية التي يكون المبتدأ فيها نكرة هي محولة بالحذف.

وقد سبق أن عرفنا أن الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة. ولم يجز النحويون مجيئه نكرة إلا إذا أفادت، لأن الخبر حكم المبتدأ، ولا يحكم على مجهول. وإنما تحصل الفائدة من النكرة في مواضع أهمها ما يأتي:

١) أن يكون الخبر ظرفاً أو جاراً ومجروراً مقدماً عليها مثل قوله تعالى: (ولدينا مزيد) (ق/٣٥) (وعلى أبصارهم غشاوة). (يس).

٢) أن تكون النكرة عامة، كأن تكون مسبوقة بنفي أو استفهام. مثل: ما رجل موجود، وقوله تعالى: (أ إله مع الله؟) (النمل/٦٠)، وتقدم النفي أو الاستفهام الاستنكاري - وهو شبيه بالنفي- على النكرة يجعلها عامة، إذ الحكم هنا ليس على فرد مبهم غير معين، إنما الحكم على جميع أفراد النكرة.

٣) أن تكون النكرة مخصصة بالوصف أو بالإضافة، لأن في وصفها أو إضافتها تحديداً لها، وهو يقربها من المعرفة. فمثال النكرة الموصوفة نقف عليه في قوله تعالى(قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى) (البقرة /٢٦٣)،(ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم)(البقرة/٢٢١). فـ" قول "مبتدأ نكرة جاز الابتداء بها لوصفها بمعروف، وكذلك " عبد". و النكرة المضافة إلى نكرة قد تكون الإضافة فيها لفظاً نحو دعاء مظلوم مجاب،و جهد طالب مثمر. ونحو قول الرسول صلى الله عليه وسلم "خمس صلوات كتيبهن الله على العباد".

و قد تكون الإضافة إلى النكرة معنى لا لفظا نحو: كل يموت و"كل ميسر لما خلق له" والبنية العميقة للمضاف إليه هي "واحد"، أي كل واحد أو كل مخلوق. أما المبتدأ "كل" الوارد في الآية الكريمة (كل له قانتون)(البقرة/١١٦) فهو معرف بالإضافة. وبنيته العميقة "كل ما في السموات والأرض".

٤) إذا دلت على دعاء. و السبب في ذلك يعود إلى أنها أدعية. والدعاء مخصص بتحديد جهة معينة، وانتسابه إلى مقدر كما هو الشأن في الأمثلة الآتية: (ويل للخالعين للطاعة، ويل لابن ملجم، سلام عليك، سلام على من اتبع الهدى) والبنية العميقة لها هي: (ويل من الله، أو من الحاكم للخالعين الطاعة، ويل من الله، أو من المسلمين لابن ملجم وسلام الله أو من الله عليك، وسلام الله أو من الله على من اتبع الهدى)، إن السبب في الابتداء بهذه النكرات بالاضافة إلى ما سبق، كونها بمنزلة الفعل، وحق للفعل التقديم لأنه مسند بالضرورة

٥) إذا كان المبتدأ مصغراً، لأن الاسم المصغر في بنيته العميقة هو اسم

موصوف بكلمة "صغير" نحو: طفيل في الدار، وكتيب عندي.

٦) بعد النفي نحو قوله تعالى(لا بيع فيه ولا خلال) ونحو. ما أحد بخيل .

٧) إذا وقعت أول جملة الحال المقترنة بالواو وغير المقرنة بها مثل: قول الشاعر:

سرنا ونجم قد أضاء فمذ بدا محياك أخفى ضوءه كل شارق

٨) إذا قصد بالنكرة التنويع كقول امرئ القيس:

فأقبلت زحفاً على الركبيتين فثوب لبست وثوب أجر

فيوم علينا ويوم لنا ويوم نُساء ويوم نسر

٩) إذا عطفت على معرفة نحو: عمر وصبي معنا. أو عطفت عليها معرفة نحو: طالب والأساتذة معنا. أو يعطف عليها موصوف، نحو " طالب وطالبة مجتهدة في الجامعة ".

١٠) إذا كانت جواباً، كأن تسأل: من في القسم؟ فيجاب بالجملة الاسمية المحولة: طلاب.

١١) بعد لولا الامتناعية نحوقول الشاعر:

لولا اصطبار لأودى كل ذي مقة لما استقلت مطاياهن للظعن

١٢) بعد إذا الفجائية، نحو دخلت الدار فإذا صديق بالباب.

١٣) إذا كانت ما التعجبية نحو: ما أعظم محمداً.

١٤) إدا كان المبتدأ مسبوقاً بحرف الجر الزائد "من" مثل قوله تعالى (فهل من مدكر) (القمر/١٥.)

١٥) إدا كان المبتدأ مسبوقا بـ "رب" التي تفيد التقليل مثل " رب ضارة نافعة" و"رب صدفة خير من ألف ميعاد".

الصورة التاسعة:

وفيها سنجد أن الوحدة الإسنادية المؤدية وظيفة النعت للمنعوت المعرفة محولة

بحذف الضمير العائد. ففي قوله تعالى: (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) (الأنعام/١٥١). يلاحظ أن الوحدة الإسنادية الماضوية البسيطة "التي حرم الله" محولة بحذف المفعول به (الضمير العائد). بنيتها العميقة "التي حرمها الله" قد جاءت في محل نصب نعتاً للمنعوت المعرفة "النفس" الواقع مفعولاً به. وبنيتها العميقة "المحرمها الله".

الصورة العاشرة:

وفيها تكون مثل هذه الوحدة الإسنادية الماضوية المحولة بالحذف مؤدية وظيفة النعت للمنعوت المعرف بالإضافة. ونقف على مثال لذلك في الآية الكريمة: (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده)(الأعراف/٣٢). ذلك أن الوحدة الإسنادية الماضوية البسيطة " التي أخرج لعباده " محولة بحذف الضمير العائد. وبنيتها العميقة " التي أخرجها لعباده "، وهي في محل نصب نعت للمنعوت " زينة" الواقع مفعولاً به مضافاً إلى لفظ الجلالة " الله". وبنيتها العميقة " المخرجها لعباده" .

الصورة الحادية عشرة:

وفيها تكون مثل هذه الوحدة الإسنادية المحولة بالحذف في محل رفع. ونقف عليها في قوله تعالى: (تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً) (مريم / ٦٣). فالوحدة الإسنادية المضارعية المركبة "التي نورث من عبادنا من كان تقياً" المؤلفة من الموصول الاسمي " التي "، والفعل المضارع " نورث " وفاعله المضمر الذي لا يخلو منه " نحن "، والجار والمجرور " من عبادنا " المتصل بهما الضمير "نا" المؤدي وظيفة المضاف إليه، والمفعول به " من كان تقياً " الوارد وحدة إسنادية اسمية منسوخة بسيطة هي في محل رفع نعت للمنعوت " الجنة " الواقع خبراً. وما يسجل في هذه الوحدة الإسنادية هو حذف الضمير العائد على المنعوت، الذي بنيته العميقة "نورثها".

ولعل الأصل في التركيب البنيوي لهذه الآية الكريمة هو " تلك الجنة التي نورثها من كان تقياً من عبادنا ". وبذلك تكون البنية العميقة للوحدة الإسنادية المضارعية.

الصورة الثانية عشرة:

وفيها تكون هذه الجملة الاسمية البسيطة محولة بحذف المبتدأ. . ونقف عليها

في قوله تعالى: (وحاق بآل فرعون سوء العذاب. النار يعرضون عليها غدواً وعشياً) (غافر/٤٥-٤٦). فالجملة الاسمية البسيطة "النار يعرضون عليها" هي جملة تفسيرية جاءت لتفسير سوء العذاب الذي حاق بآل فرعون(٢٣). وهي محولة بحذف المبتدأ. وبنيتها العميقة "هو النار". قال الزمخشري: "النار بدل من سوء العذاب أو خبر مبتدإ محذوف. كأن قائلاً قال: ما سوء العذاب، فقيل: هو النار"(٢٤). فحذف المبتدأ جاء اختصاراً لأن هذه الجملة التفسيرية جاءت جواباً لاستفهام مقدر(٢٥). قال العكبري في الحديث الشريف" ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة؟ أحاسنكم أخلاقاً(. . .) الموطئون أكنافاً".

فهذا اختصار حذف المبتدأ في الجواب أي هم أحاسنكم وأقربكم"(٢٦). ومنه توجيه البنية العميقة لبلاغة قوله تعالى: (وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين)(فصلت/١٠). إن قلت بم تعلق قوله للسائلين؟ قلت بمحذوف كأنه قيل: هذا الحصر لأجل من سأل في كم خلقت الأرض وما فيها"(٢٧) ؟. فالجملة الاسمية " سواء للسائلين" المحولة بحذف مبتدئها الذي بنيته العميقة " المشار إليه" هي تفسيرية.

الصورة الثالثة عشرة:

وقد تكون الجملة محولة بحذف المبتد أ بعد حرف الاستئناف " أو" الذي بمعنى" بل" في نحو قوله تعالى: (فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلنا إلى مائة ألف أو يزيدون)(الصافات/١٤٧). فالجملة الاسمية الاستئنافية المركبة " أو يزيدون"(٢٨) هي جملة محولة بحذف المبتدأ منها. وبنيتها العميقة " بل(٢٩) هم يزيدون"(٣٠)، وخبر المبتدأ "هم" ورد وحدة إسنادية مضارعية " يزيدون" بنيتها العميقة" زائدون".

وقد تكون الجملة الشرطية الاستئنافية محولة بحذف المبتدأ من وحدتها الإسنادية الاسمية المركبة التي لجواب الشرط.

ففي قوله تعالى: (وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلماً ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً)(طه/١١٢). يسجل أن الجملة

الاسمية الشرطية الاستئنافية المركبة مؤلفة من الوحدة الإسنادية المضارعية البسيطة التي للشرط "من يعمل من الصالحات" وظيفتها مبتدأ(٣١)، والوحدة الإسنادية الاسمية المركبة(٣٢) التي لجواب الشرط " فلا يخاف ظلماً"، المحولة بحذف المبتدأ منها " هو". حيث إن بينتها العميقة " فهو لا يخاف ظلماً"(٣٣).

وأساس ذلك أن اقتران هذه الوحدة الإسنادية بالفاء وعدم جزم المضارع "يخاف" يعد قرينة على أنها اسمية(٣٤).

الصورة الرابعة عشرة:

وفيها تكون هذه الجملة الاسمية البسيطة محولة بحذف الخبر مفسرة لجملة اسمية بسيطة محولة بحذف الخبرأيضا. وتستوقفنا عندها الآية الكريمة: (وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب)(الصف/١٣). حيث إن الجملة الاسمية " نصر من الله" المعطوفة عليها الجملة الاسمية " فتح قريب" هي جملة تفسيرية محولة بحذف المبتدأ منها. وبنيتها العميقة "هي نصر من الله"، و"هي فتح قريب" وظيفتها تفسير الجملة الاسمية المحولة التي قبلها " وأخرى تحبونها".

وهذه الجملة استئنافية محولة بحذف خبرها. وبنيتها العميقة" وهناك أخرى تحبونها". ومما حذف لكثرة الاستعمال قولهم: هل من طعام ؟. والبنية العميقة للخبر المحذوف هي " في زمان أو مكان. أي عندكم.

وقد ورد هذا الحذف في ثماني آيات، منها: (يوم نقول لجهنم: هل امتلأت وتقول: هل من زيد) (ق/٣٠) أي: هل من مزيد عندكم، ومنه (فنقبوا في بلاد هل من محيص) (ق/٣٦)، حذف الخبر، أي: لهم. وقوله: (ولقد تركناها آية فهل من مذكر) (القمر/١٥، ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠، ٥١). فجملة "هل من مذكر" محولة بحذف الخبر. وبنيته العميقة " فيكم" أو " منكم ".

وقد يكون التحويل بحذف المضاف. في نحو قوله تعاللى (واسأل القرية) (يوسف/٨٢) والبنية العميقة للجملة الفعلية في هذه الآية هي "واسأل أهل القرية".

ومن ذلك أيضا قوله تعالى (ولكن البر من اتقى) (البقرة /١٨٩) والبنية العميقة للجملة الاسمية المحولة هي " ولكن البر بر من اتقى " (٣٥).

وقد يكون التحويل بحذف المضاف إليه. ومن شواهده قوله تعالى (لله الأمر من قبل ومن بعد) (الروم/١٤) والبنية العميقة للجملة في هذه الآية هي "لله الأمر من قبل ذلك ومن بعده"(٣٦).

وأهم صور التحويل بحذف الخبر ما يأتي:

١- إذا كان المبتدأ واقعاً بعد " لولا" الامتناعية مثل قوله تعالى: (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض)(البقرة/٢٥١)، (ولولا أنتم لكنا مؤمنين) (سبأ/٣١).

فكل من "دفع الله" و"أنتم" مبتدأ مسبوق بلولا، والخبر محذوف وجوباً عند النحاة، بنيته العميقة "موجود" أو "كائن" أو "حاصل" ولا يجيزون التصريح به. ويسمون هذه الحالة كوناً عاماً، أي مفهوماً من الكلام، والسياق يدل عليه.

واللافت للانتباه أن الخبر بعد لولا الامتناعية ورد مذكوراً في قول المعري:

يذيب الرعب منه كل عضب فلولا الغمد يمسكه لسالا

فالخبر في هذا البيت هو الجملة الفعلية المضارعية " يمسكه".

٢- إذا كان المبتدأ صريحاً في القسم، أي قبل جواب القسم الصريح نحو قوله تعالى (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون) (سبأ/٣٢). والبنية العميقة للخبر المحذوف هي "يميني أو قسمي"، ومثل لعمرك لأنجحن - يمين الله لأدافعن عن الوطن- عهد الله لأزورنك.

فألفاظ القسم مرفوعة بالابتداء، والخبر محذوف، وبنيته العميقة عند النحاة " قسمي" ولا يجوز ذكره.

الصورة الخامسة عشرة:

وفيها يكون التحويل بحذف الموصوف. وتستوقفنا عند ذلك الآيتان الكريمتان (يا أيها الساحر) (الزخرف /٤٩) و(يا أيها الذين آمنوا) في كثير من الآيات القرآنية. والبنية العميقة للموصوف المحذوف في الآيتين هو "الساحر" في الآية الأولى، و"القوم" في الآية الثانية.

٢- التحويل بحذف ركني الوحدة الإسنادية:

الصورة الأولى:

و فيها سنجد أن مثل هذه الوحدة الإسنادية المضارعية الحالية محذوف ركناها الأساسيان في نحو قوله تعالى: (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا) (البقرة / ١٢٧). حيث إن الوحدة الإسنادية الطلبية التي مسندها فعل أمر "ربنا تقبل منا(٣٧) " المؤدية وظيفة مقول القول معمولها محذوف، بنيته العميقة "يقولان" (٣٨). وهي وحدة إسنادية مضارعية مركبة وظيفتها حال، صاحب الحال فيها هوالفاعل المتمثل في ألف الاثنين. وبنيتها العميقة " قائلين".

وقد تكون الوحدة الإسنادية المؤدية وظيفة مقول القول محولة بحذف هذين الركنين. ونقف على مثال لها في الآية الكريمة: (قالوا ماذا أنزل ربكم قالوا الحق) (سبأ/٢٣). فالوحدة الإسنادية الماضوية " الحق " مؤدية وظيفة مقول القول، وهي محولة بحذف فعلها الماضي وفاعلها اللذين بنيتاهما العميقتان " أنزل هو" أي ربكم، لتكون البنية العميقة لهذه الوحدة الإسنادية الماضوية هي " أنزل ربكم الحق".

الصورة الثانية:

وفيها نقف على حال وقعت وحدة إسنادية محولة بحذف ركنيها الأساسين. ففي قوله تعالى: (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم) (الرعد/٢٤). نجد الوحدة الإسنادية الاسمية المحضة "سلام عليكم" مؤدية وظيفة مقول القول لقول محذوف بنيته العميقة "يقولون"(٣٩).

ويسجل أن مقول القول هذا هو وحدة إسنادية مضارعية مركبة وظيفتها حال. بنيتها العميقة " قائلين سلام عليكم "(٤٠).

الصورة الثالثة:

وفيها سنجد أن الوحدة الإسنادية التي للقسم في جملة أسلوب القسم محولة بحذف ركني الوحدة الإسنادية التي للقسم.

و نقف على عينة لها في قوله تعالى: (والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما

غوى) (النجم/١). حيث إن جملة أسلوب القسم في هذه الآية مؤلفة من الوحدة الإسنادية المضارعية التي للقسم". "والنجم إذا هوى" المحولة بحذف المسند والمسند إليه (الفعل والفاعل)(٤١).

وبنيتها العميقة " أقسم بالنجم ". "ويضمر الفعل في الطلب كثيراً استغناء بالمقسم به مجروراً بالباء(٤٢).

ويخص الطلب بها"(٤٣) لبقاء حرف القسم الواو والمقسم به "النجم"، ومؤلفة من المتضايفين (ظرف الزمان "إذا" المضاف، والوحدة الإسنادية الماضوية "هوى" المؤدية وظيفة المضاف إليه)(٤٤) المفيدين المقسم به، ومؤلفة من الوحدة الإسنادية الماضوية المنفية "ما ضل صاحبكم" و "ما غوى"(٤٥) المؤدية وظيفة جواب القسم. وهي تفيد نفي حدوث الحدث في الماضي. وبنيتها العميقة "ما ضال صاحبكم" أو "غير ضال صاحبكم".

ويلاحظ أن جملة أسلوب القسم قد أدت وظيفة بيانية تمثلت في التوكيد. وقد جاءت مختزلة اختصارا لما يفرضه أسلوب القسم (٤٦).

الصورة الرابعة:

وفيها يكون مثل هذا التحويل في أسلوب الإغراء. ويستوقفنا على عينة لذلك قول الشاعر:

أخاك أخاك إن من لا أخا له كساع إلى الهيجا بغير سلاح

فالجملة الفعلية "أخاك أخاك" محولة بالحذف، لم يبق منها إلا المغرى به، وهو المفعول به "أخاك أخاك" المكرر لغرض التوكيد. . وقد حذف منها فعل الأمر "الزم" وفاعله الذي لا ينفك عنه "أنت". والبنية العميقة لجملة الإغراء هي "الزم أخاك، الزم أخاك"

الصورة الخامسة:

وفيها يكون مثل هذا التحويل في أسلوب التحذير. الذي هو تنبيه المخاطب على أمر مذموم ومكروه ليتجنبه. فالجملة الفعلية "التهاون التهاون" محولة بالحذف.

بنيتها العميقة "احذر التهاون احذر التهاون" والجملة الفعلية "إياك والإهمال" محولة. بنينها العميقة "احذر إياك واحذر الإهمال".

الصورة السادسة:

وفيها يكون هذا التحويل في أسلوب الاختصاص.

ففي قوله صلى الله عليه وسلم " نحن معاشر الأنبياء لا نورث " نجد أن الجملة المضارعية "معاشر الأنبياء" محولة بحذف ركنيها الأساسيين (الفعل والفاعل). وبنيتها العميقة "أخص معاشر الأنبياء" أو "أعني معاشر الأنبياء" .

وفي قول الشاعر:

لنا - معشر الأنصار - مجد مؤثل بإرضائنا خير البرية أحمدا

يسجل أن الجملة الفعلية "معشر الأنصار" محولة بالحذف. بنيتها العميقة "أخص أو أعني معشر الأنصار". وقد وردت بعد ضمير المتكلمين "نا ".

٣- التحويل بحذف الوحدة الإسنادية كاملة:

الصورة ا لأولى:

و فيها يلاحظ أن الوحدة الإسنادية التي لجواب الشرط المحذوفة ماضوية منفية.

و نقف على نموذج لها في قوله تعالى: (. ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعاً)(الرعد/٣١). فالجملة الشرطية في هذه الآية " ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى" استئنافية محولة. قد حذفت منها الوحدة الإسنادية الماضوية المنفية التي لجواب الشرط. واستغنى عنها بدلالة الحال(٤٧) التي تعد صورة من الصور التطبيقية لأمن اللبس(٤٨). والبنية العميقة لهذه الوحدة الإسنادية الماضوية المحذوفة هي " لما آمنوا". ذلك أن سياق الآية يدل على عنتهم وعدم إيمانهم. فعلى الرغم من الخوارق التي ذكرها الله ممثلة في تسيير الجبال بالقرآن، أو تقطيع الأرض به،أو تكليم الموتى، فإنهم مع كل ذلك لم يؤمنوا(٤٩).

الصورة الثانية:

و فيها نجد أن هذه الوحدة الإسنادية الاسمية المنسوخة المؤكدة محذوفة لدلالة سياق الآية عليها. ونقف عليها في قوله تعالى: (فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير)(البقرة/٢٥٩). حيث إن الوحدة الإسنادية المؤدية وظيفة الفاعل للفعل اللازم "تبين" محذوفة، بنيتها العميقة "أن الله على كل شيء قدير" أو ما أشكل عليه. يعني أمر إحياء الموتى(٥٠).

الصورة الثالثة:

وفيها سنجد أن هذه الوحدة الإسنادية المحولة بالحذف مؤدية وظيفة المستثنى. ونقف على مثال لها في قوله تعالى: (ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس)(آل عمران/١١٢).

فقول الله "إلا بحبل من الله" يلاحظ أن الوحدة الإسنادية المضارعية المؤدية وظيفة المستثنى المنقطع محذوفة. وأصلها "إلا أن يعتصموا بحبل الله. فأضمر ذلك"(٥١). والبنية العميقة لهذه الوحدة الإسنادية هي "اعتصامهم بحبل الله". أي تمسكهم وتشبثهم بحبل من الله(٥٢).

الصورة الرابعة:

وفيها يسجل أن الوحدة الإسنادية المحذوفة هي تلك التي لجواب الشرط.

ونقف على مثال لها في قوله تعالى: (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن)(الطلاق/٤). فاجملة الاسمية المركبة " واللائي لم يحضن " محولة بحذف الوحدة الإسنادية الاسمية البسيطة المؤدية وظيفة الخبر لدلالة السياق عليها. وبنيتها " فعدهتن ثلاثة أشهر". وهي مكونة من الفاء الرابطة (٥٣)، والمبتدأ "عدة"، والمضاف إليه " الضمير المتصل "هن"، والخبر " ثلاثة" والمضاف إليه " أشهر "(٥٤). وقد جاءت لتقوية الحكم وإفادة ثبوته ودوامه (٥٥). والفاء في هذه الوحدة الإسنادية تعطي هذا التركيب الإسنادي معنى الجزاء.

الصورة الخامسة:

وفيها تكون الوحدة الإسنادية التي لجواب الشرط المحذوفة اسمية منسوخة

بناسخ فعلي "كان". ونقف على مثال لها في قوله تعالى: (وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله)(التوبة/٥٩، ٥٨). حيث إن الجملة الشرطية الاستئنافية في هذه الآية موجودة فيهاالوحدة الإسنادية الماضوية المركبة التي للشرط " ولو أنهم رضوا ما أتاهم الله "(٥٦). أما الوحدة الإسنادية الاسمية التي لجواب الشرط فمحذوفة. وبينتها العميقة هي " لكان خيرا لهم"(٥٧) ولعل في ترك الوحدة الإسنادية التي لجواب الشرط، والاكتفاء بالوحدة الإسنادية التي للشرط مزيدا من توجه العناية إلى الوحدة الإسنادية التي للشرط(٥٨).

obeikandl.com

هوامش وإحالات الفصل الرابع

(١) ينظرأبو القاسم المرادي: الجنى الداني، ص٤١. وابن هشام: مغني اللبيب، ١/٤٩١،٣٥٦.

(٢) ينظر أبو القاسم المرادي: المرجع نفسه، ص٤١، وابن هشام، المرجع نفسه، ١/ ٣٥٦.

(٣) هذه الآية جملتها فعلية مركبة لها كيان مستقل مبنى ومعنى. ينظر الفرق بين الجملة المركبة والوحدة الإسنادية المركبة، ص٦١، ٨٩.

(٤) والوحدة الإسنادية المضارعية "تخرج". بنيتها العميقة "الخروج" وقعت في محل جر بالحرف "حتى".

(٥) واستناداً إلى ذلك تكون البنية العميقة للجملة الفعلية المركبة في تلك الآية هي"ولو صبرهم حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم".

(٦) أي العرب.

(٧) سيبويه: الكتاب، ٣/١٢١.

(٨) عباس حسن: المرجع نفسه، ٢/ ٦٤٥.

(٩) " اللذين كفروا" وحدة إسنادية ماضوية بسيطة وظيفتها مبتدأ وبنيتها العميقة " الكافرون".

(١٠) عدت وحدة إسنادية اسمية مركبة ولم تعد جملة اسمية مركبة لأن الخبر فيها " تتلى" ورد وحدة إسنادية مضارعية.

(١١) ينظر الزمخشري: الكشاف، ٣/٤١٦.

(١٢) ينظر الزمخشري: المرجع نفسه، ٣/٤٢٠

(١٣) ينظر سيبويه: المرجع نفسه، ٤/٢٢٠.

(١٤) ينظر ابن مالك: شرح التسهيل، ٣/١٨٩.

(١٥) ينظر سيبويه: الكتاب،١/٢٧٧، ٢٧٨.

(١٦) ابن هشام: شرح شذور الذهب، ص١٩.

(١٧) ابن جني: الخصائص٢/٤٣٤.

(١٨) الفراء معاني القرآن، ٢/٣٢٢.

(١٩) يعني إن قصدت.

(٢٠) الفراء: المرجع نفسه،٢/٣٢٢.

(٢١) ولقد سمى سيبويه ما بعد أن بصلة أن. ينظر سيبويه: الكتاب،٤/٢٢٨.

(٢٢) ينظر بومعزة رابح: تصنيف لصور الجملة والوحدة الإسنادية الوظيفية وتيسير تعلمها في المرحلة الثانوية، رسالة دكتوراة، جامعة الجزائر، ٢٠٠٤- ٢٠٠٥، ص ١٠٢.

(٢٣) ينظر مصطفى عبد السلام أبو شادي: الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مكتبة القرآن

القاهرة، ١٩٩٤، ص ٧٨.

(٢٤) الزمخشري: الكشاف، ٣/ ٤٤٤، ٤٤٥.

(٢٥) ينظر مصطفى عبد السلام أبو شادي: المرجع نفسه، ص٧٨.

(٢٦) الإمام مسلم: الجامع الصحيح، دار الشعب، مصر، د. ت، ص ٢٨٠.

(٢٧) ينظر د. فخر الدين قباوة: إعراب الجمل وأشباه الجمل، ص٤٠.

(٢٨) عدت جملة استئنافية لأنها معطوفة على الجملة الاستئنافية " فنبذناه بالعراء"

(٢٩) ينظر الاستراباذي: شرح الكافية، ١١٢/٢.

(٣٠) ينظر د. فخر الدين قباوة: إعراب الجمل وأشباه الجمل، ص٤٠.

(٣١) وبينتها العميقة " العامل من الصالحات".

(٣٢) عدت مركبة لأن خبرها" لا يخاف ظلماً" ورد وحدة إسنادية مضارعية بسيطة. ينظر صور الوحدة الإسنادية المضارعية المؤدية وظيفة الخبر، ص١٣٥.

(٣٣) ينظر الزمخشري: الكشاف، ٤ /١٤٧، ١٤٨، والدسوقي: حاشية الدسوقي، ١٧٦/١.

(٣٤) ينظر د. محمد حماسة عبد الطيف: بناء الجملة العربية، ص ٢١٣.

(٣٥) ينظر سيبويه: الكتاب، ٢٢/١.

(٣٦) ابن جني: الخصائص، ٢/ ٣٦٢.

(٣٧) ينظر بومعزة رابح: المرجع نفسه، ص ٢٤

(٣٨) ينظر الزمخشري: الكشاف،١ / ٣١١

(٣٩) ينظر الفراء: معاني القرآن، ٢/ ٦٢.

(٤٠) عدت وحدة إسنادية مضارعية مركبة لأن مقول القول فيها ورد وحدة إسنادية.

(٤١) ينظر سيبوية: الكتاب، ٣ / ٤٩٥. و ينظر ابن السراج: الأصول في النحو، ص ٤٣١.

(٤٢) لأن الباء هذه تظهر في البنية العميقة. أما حرف القسم " الواو والتاء " فتظهران في البنية السطحية، ومعنى القسم لا يظهر في البنية السطحية "والله" أو"تالله"و إنما يظهر في البنية العميقة "أقسم بالله". ينظر د .سناء حميد البياتي: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، ص ٣٩٦.

(٤٣) ابن مالك: تسهيل الفوائد، ص ١٥٠.

(٤٤) ينظر صور الوحدة الإسنادية الماضوية المؤدية وظيفة المضاف إليه، ص ٣٥١.

(٤٥) " ما غوى " هي وحدة إسنادية ماضوية معطوفة على الوحدة الإسنادية التي لجواب القسم قبلها.

(٤٦) ينظر محمد العيد رتيمة: دراسة لغوية لمفهوم الآية في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر،١٩٩٢ - ١٩٩٣، ص ٢٣٢.

(٤٧) ينظر سيبويه: المرجع نقسه،٣ /١٠٣، والأخفش: معاني القرآن، ١ /١٣٧،١٣٦.

(٤٨) ينظر عبد الفتاح الحموز: مواضع اللبس في العربية وأمن لبسها، الهيئة العامة للكتاب، د. ت، ص ٩ - ٦٦.

(٤٩) ينظر ابن يعيش: شرح المفصل، ٩ /٢، والسيوطي: همع الهوامع، ٦٦/٢.

(٥٠) ينظر أبو حيان: المرجع نفسه، ٢/ ٢٩٦

(٥١) الفراء: معاني القرآن،١/ ٢٣٠.

(٥٢) ينظر الزمخشري: الكشاف، ٤٥٥/١.

(٥٣) ينظر عباس حسن: النحو الوافي، ٢ / ٣٩٣.

(٥٤) " اللائى يئسن " وحدة إسنادية مضارعية بسيطة بنيتها العميقة "اليائسات".

(٥٥) ينظر د. عبد الواحد حسن الشيخ: دراسات في علم المعاني، ص ١٦٨، ١٦٩.

(٥٦) ينظر صور الوحدة الإسنادية المركبة المحولة بالحذف، ص١٩٨.

(٥٧) محمد الطاهر الحمصي: المرجع نفسه،ص ٢٧١.

(٥٨) ينظر محمد الطاهر الحمصي: المرجع نقسه، ص ٢٧١.

obeikandl.com